

أضواء البيان

@ 325 @ .

والظاهر أن جميع أقوال أهل العلم في قوله { خَلَقًا ۖ آخِرًا } أنه صار بشراً سوياً بعد أن كان نطفة ، ومضغةً ، وعلقةً ، وعظاماً كما هو واضح . . .
مسألة .

وقد استدل بهذه الآية الإمام أبو حنيفة رحمه الله ، على أن من غصب بيضة ، فأفرخت عنه أنه يضمن البيضة ، ولا يرد الفرج ، لأن الفرج خلق آخر سوى البيضة ، فهو غير ما غصب ، وإنما يرد الغاصب ما غصب . وهذا الاستدلال له وجه من النظر ، والعلم عند الله تعالى . . .
وقوله تعالى في هذه الآية { فَتَدْبَارُكَ اللَّاهُ أَكْسَنُ الْخَالِقِينَ } وقوله { فَتَدْبَارُكَ اللَّاهُ } قال أبو حيان في البحر المحيط : تبارك : فعل ماضٍ لا ينصرف ، ومعناه : تعالى وتقدس . اهـ منه . . .

وقوله في هذه الآية { أَكْسَنُ الْخَالِقِينَ } أي المقدرين والعرب تطلق الخلق وتريد التقدير . ومنه قول زهير : أَكْسَنُ الْخَالِقِينَ { أي المقدرين والعرب تطلق الخلق وتريد التقدير . ومنه قول زهير : % (ولأنت تفري ما خلقت وبعض % القوم يخلق ثم لا يفري) % .

فقوله : يخلق ثم لا يفري : أي يقدر الأمر ، ثم لا ينفذه لعجزه عنه كما هو معلوم . ومعلوم أن النحويين مختلفون في صيغة التفضيل إذا أضيفت إلى معرفة ، هل إضافتها إضافة محضة ، أو لفظية غير محضة ، كما هو معروف في محله ؟ فمن قال : هي محضة أعرب قوله { أَكْسَنُ الْخَالِقِينَ } نعتاً للفظ الجلالة ، ومن قال : هي غير محضة أعربه بدلاً ، وقيل : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هو أحسن الخالقين . وقرأ هذين الحرفين { فَخَلَقْنَا } المُمُضِغَةَ عِظَامًا } وقوله { فَكَسَّوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا } ابن عامر وشعبة عن عاصم عظاماً : بفتح العين ، وإسكان الضاء من غير ألف بصيغة المفرد فيهما ، وقرأه الباقر : عِظَامًا بكسر العين وفتح الطاء ، وألف بعدها بصيغة الجمع ، وعلى قراءة ابن عامر وشعبة . فالمراد بالعظم : العِظَام . . .

وقد قدمنا بإيضاح في أول سورة الحج وغيرها أن المفرد إن كان اسم جنس ، قد تطلقه العرب ، وتريد به معنى الجمع . وأكثرنا من أمثلته في القرآن ، وكلام العرب مع تعريفه وتنكيره وإضافته ، فأغنى ذلك عن إعادته هنا .